مجلة البحوث المالية والتجارية
المجلد (٢٢) – العدد الرابع – أكتوبر ٢٠٢١

الاستراتيجية الروسية الكبرى في عهد بوتن: دراسة في الدوافع والخصائص والمداخل

Russian Grand Strategy in The Putin Era: Studying in Motivations, Characteristics and Approaches.

إعداد:

دكتور/ عادل عنتر على زعلوك

مدرس العلوم السياسية-كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية

جامعة الاسكندرية

رابط المجلة: https://jsst.journals.ekb.eg/

الملخص:

ينصب موضوع الدراسة حول دراسة وتحليل الاستراتيجية الروسية في عهد بوتن، وذلك من ثنايا التعرف على أبرز العوامل التي دفعت الرئيس بوتن إلى تبني هذه الاستراتيجية، وكذا التطرق إلى الخصائص المميزة لاستراتيجيات الروسية بشكل عام والاستراتجية الروسية في عهد بوتن على وجه الخصوص، كما تسلط الدراسة الضوء على مداخل دارسة الاستراتيجية الروسية المختلفة، وذلك بهدف التعرف على أنسب مدخل دراسة هذه الاستراتيجية. ولتحقيق الأهداف المرجوة من الدراسة ارتكز الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، وقسمت الدراسة وفق الغرض منها والمنهج المستخدم إلى مقدمة وثلاثة مباحث فرعية، وخاتمة: وفيها تم عرض ما خلص إليه الباحث من نتائج.

الكلمات المفتاحية:

بوتن، استراتيجية، الاستراتيجية الروسية الكبرى، دوافع، خصائص، مداخل.

Abstract

The research seeks to study the Motivations, Characteristics and Approaches of Russian Grand Strategy in The Putin Era. To achieve the purpose of the study, the researcher relied on the empirical method, and some analysis and observations were based on a methodology of comparative approach. This study is structured in the following way: The first section discusses motivations of Russian grand strategy . The second section argues the main Characteristics of putinian Grand Strategy . The last section debates the approaches of studying the Russian grand strategy .

Keywords: Russian Grand Strategy, Putin ,Motivations, Characteristics, Approaches.

المـقـدمـة:

يؤمن الرئيس بوتن بأهمية الاستراتيجيات الكبرى، ولقد ظهر اهتمامه هذا جلياً منذ توليه زمام الأمور عام ١٩٩٩ حينما أعلن بشكل صريح أنه سيضع استراتيجية كبرى لروسيا لمدة عقد من الزمان وأسماها "استراتيجية تطوير الفيدرالية الروسية ٢٠١٠ " أو "استراتيجية ٢٠١٠" ، و أومأ في استراتيجيته هذه إلى الطموحات العالمية الروسية التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ السوفياتي إبان حقبة الثنائية القطبية؛ إذ أكد من خلال استراتيجيته هذه على أنه لم يعد من المقبول لديه ولدى سائرالنخبة الحاكمة الروسية كذلك أن تقف روسيا على أعتاب العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وهي دولة غير قطبية تراقب المشهد الدولي من بعيد كالمتفرج، وإنما يرتضيه هو وكل رفاقه من أعضاء النخبة الحاكمة -و يأبون إلا أن يشيدون أركانه- هو أن تحتل روسيا درجة من الدرجات العلى على سلم توزيع القوة العالمي. وعلى الرغم من الاستراتيجية التي اتبعها الرئيس دميتري في الفترة٢٠٠٨-٢٠١٢ المعروفة باستراتيجية "الخطوة بخطوة " قد هدأت من وتيرة استراتيجية النهوض الكبرى التي تبناها بوتن من قبل، بيد إنه بعد عودة بوتن مرة أخرى إلى القصر الرئاسي السوفياتي عام ٢٠١٢ جدد العمل باستراتيجته الكبرى التي وضع لبناتها الأولى عام ١٩٩٩، و أمضي قدماً في تطوير مبادئها التي رسخ العمل بها في أول يوم تقلد فيه السلطة (Monaghan, Andrew, 2013,pp.1221-1222)

إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية البحث في الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي: ماهي أبرز العلامات المميزة للاستراتيجية الروسية الكبرى في عهد بوتن؟، ويمكن الإجابة عن هذا التساؤل من خلال الإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية:

أ-ما العوامل والدوافع التي ساقت بوتن لتبني استراتيجته الكبرى؟

ب-ما هي الخصائص المميزة للاستراتيجية الروسية الكبرى في عهد بوتن.

جـ-ماهي أبرز مداخل دراسة استراتيجية بوتن الكبرى؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- التعرف على الدوافع التي ساقت بوتن إلى انتهاج استراتيجته الكبرى.

-الكشف عن الخصائص المميزة لاستراتيجية الروسية الكبرى في عهد بوتن.

-توضيح أبرز مداخل دراسة وتحليل الاستراتيجية البوتنية الكبرى.

أهمية الدراسة:

الأهمية العلمية: تنبع أهمية الدراسة العلمية من كونها محاولة للبحث في مجال الدراسات الاستراتيجية والسياسات الخارجية الروسية ذلك المجال الذي يشغل اهتمام جل الباحثين في مجال العلاقات الدولية لاسيما في عهد بوتن، خاصة بعد أن ازدادت القدرات الروسية وصرحت عن طموحاتها العالمية من خلال تبنيها الاستراتيجيات الكبرى التي تؤهلها لذلك.

الأهمية العملية: تتمثل الأهمية العملية فيما تقدمه من توصيات ونتائج لمتخذي القرار العربي وكل السياسيين المعنيين بالشأن الروسي لاسيما بعد تنامي الدور الروسي في الشرق الأوسط.

منهج الدراسة:

ترتكز الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث ستقوم الدراسة بوصف وتحليل أبرز دوافع تبني استراتيجية روسية كبرى، وكذا التطرق إلى وصف وتحليل أهم خصائص الاستراتيجية الروسية في عهد بوتن وعرض أبرز المداخل لفهما أو تفسيرها.

الإطار الزماني للدراسة:

تبدأ هذه الدراسة مع بداية السنة الأولى من الألفية الجديدة حينما وضع بوتن قدمه في الكرملين وجلس على العرش الفيدرالي الروسي ؛ إذ لا يخفى على أحد أن بوتن منذ ممارسة مهام منصبه في اليوم الأول وهو يضع نصب عينيه هدف نقل روسيا من مصاف الدول التي تصنف ضمن القوى الدولية من الدرجة الثانية إلى مصاف القوى الدولية الكبرى أو الدولة القطبية، ولتحقيق ذلك الهدف وضع استراتيجيته الكبرى الكفيلة بتحقيقه، وسوف تنتهي الدراسة ارتباطاً بمنهجها(المنهج الوصفي

التحليلي) عام ٢٠٢١ ، وذلك للتعرف على حقيقة أهداف استراتيجية بوتن الكبرى والأهداف التي تحققت منها فعلاً.

خطة البحث

بناءً على موضوع الدراسة والهدف منها، سيتم تقسيم الدراسة على النحو الآتي:

المبحث الأول: ويتناول دوافع تبني روسيا استراتيجية كبرى في عهد بوتن.

المبحث الثاني: ويتطرق هذا المبحث إلى الخصائص المميزة للاستراتيجية الروسية الكبرى في عهد بوتن.

المبحث الثالث: ويتعرض هذا المبحث لأبرز المداخل المعنية بتحليل ودراسة الاستراتيجية البوتنية الكبرى.

المبحث الأول-دوافع تبني بوتن استراتيجية روسية كبرى وانعكاساتها على أولويات المصالح القومية الروسية

يعد الاتجاه الواقعي بنسخه المختلفة من أظهر الاتجاهات التحليلية في مجال العلاقات الدولية التي عالجت العلاقة بين دوافع تبني الاتحاد السوفياتي- ومن بعده روسيا -للاستراتيجيات الكبرى ومدى علاقتها بالمصالح القومية: فلقد أجمع جمهور الواقعيين خلال الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية سبعينيات القرن المنصرم على أنه بالإمكان اختزال دوافع تبني الاتحاد السوفياتي لاستراتيجته الكبرى آنذاك في امتلاك عوامل القوة التي تجعل من الاتحاد السوفياتي قوة بمقدورها موازنة الولايات المتحدة وردعها في الوقت ذاته إذا لزم الأمر على النحو الذي يهيأ لتحقيق استقرار بنية النسق الدولي ويحول دون نشوب الصراع بين قطبيه (Hollis, M. and Smith, S. 1990,pp.16-45)، ومع ظهور التيار الواقعي البنيوي على يد رائده والتز ومن آمن بفكره في نهاية السبعينيات تغيرت النظرة الواقعية لدوافع تبني الروس للاستراتيجيات القومية وكذا لآلية تحقيقها، إذ رأى هؤلاء أنه ليس ثمة ما يمنع من الجمع بين السبل التعاونية إلى جانب السبل الصراعية لتحقيق طموحات الاستراتيجية الروسية في ظل مرحلة جديدة قد عمت النسق الدولي آنذاك وهي مرحلة الحرب الباردة؛ إذ اعتقدوا أن مثل هذه المرحلة تقتضي ارتكاز السوفيات على بعض السبل التعاونية على النحو الذي يحول دون وقوع الاحتكاك المباشر العنيف مع الغرب ذلك الاحتكاك الذي من شأنه

أن يفضي إلى تهديد استقرار النسق الدولي أو أن يغير قواعد اللعبة الحاكمة له.(Kropatcheva, Elena, 2018,p.43).

ولقد أدى سقوط الاتحاد السوفياتي دون سابق تنويه من الواقعيين البنيويين إلى خروج تيار تصحيحي داخل الاتجاه الواقعي -عرف بالتيار التصحيحي 'atheoretical'– والذي اعترف بإخفاق سابقيهم في التنبؤ ببعض مآلات الاستراتيجيات السوفيايتة، وأقروا بأن أنسب وسيلة لتفسير الاستراتيجيات السوفياتية ومن بعدها الروسية ليست تلك الوسيلة التي ترتكز على عوامل نسقية فقط أو تلك التي تنطلق من عوامل داخلية وتهمل المتغيرات النسقية، وإنما تلكم الطريقة التي تمزج بينهما: بعبارة أكثر إيضاحاً أن أنسب منهجية لتفسير الاستراتيجات الروسية وأكثرها ملاءمة المنهجية التي ترتكز على افتراض مفاده:إنه قد تمتلك القيادات الروسية الرشيدة زمام المبادرة في تبني استراتيجيات روسية كبرى إذ ما رأت الحاجة إلى ذلك، وفي الوقت ذاته قد تضطر روسيا إلى أن تصيغ من استراتيجياتها الكبرى بما يؤهلها لمواكبة التغيرات التي قد تطرأ على بنية النسق الدولي أو يمكنها من الاستجابة للضغوط الدولية التي قد تأتي منها.(Kropatcheva, Elena, 2018,p.43)

ولقد انبثق من رحم تيار التصحيحيين نسخة جديدة من الواقعية عُرفت بالواقعية الكلاسيكية الجديدة، ويفترض هؤلاء أن الاستراتيجيات الكبرى للدول ما هي إلا ناتج التفاعل بين متغيرين أحدهما يمثل محيط الدولة الخارجي والآخر يتمثل في ما يحدث داخل الدولة وذلك من ثنايا متغير وسيط يتمثل في القيادة السياسية التي تمثل حلقة الوصل بين هذين المتغيرين، لذا لا يرى الواقعيون الكلاسيك الجدد غضاضة في عدم فصل صياغة الاستراتيجيات الروسية عن سياقها الاجتماعي حتى لو أنها جاءت مفروضة على القيادة السياسية من البيئة الدولية؛ لذا لا يبحذ الواقعيون الجدد تفسير استراتيجيات روسيا الكبرى حال استراتيجيات الموازنة وركوب القاطرة أو الجمع بينهما أو استراتيجيات الهيمنة العالمية بعيداً عن سياق المجتمع الروسي ، إذ أسهم ظهور نخبة حاكمة غير أيديولوجية داخل أروقة الكرملين، وتزايد أعداد الطبقة الوسطى ، وتزايد مستويات انتاج روسيا الاقتصادية إلى الحد الذي جعلها مورداً أساسياً للطاقة وشريكاً اقتصادياً لبعض دول العالم لا سيما الأوروربية منها، وتنامي القدرات العسكرية الروسية، والتقدم التكنولوجي المذهل الذي شهده المجتمع الروسي في كافة مناحي الحياة في تبي بوتن استراتيجيات التقارب مع الغرب واستراتيجية الموازنة مع بداية الألفية الجديدة، ومن المتوقع إنها إذا سارت بهذه الوتيرة أن تتبنى استراتيجيات الهيمنة العالمية في المستقبل المنظور. (Kropatcheva, Elena, 2018,pp.43-44)

وبأي حال من الأحوال ثمة دوافع كثيرة ساقت متخذي القرار الروسي إلى تبني أهداف لاستراتيجية روسية كبرى في عهد بوتن، والتي جعلت من المصالح والأهداف الروسية في عهد بوتن تنفرد في جملتها عن ذي قبل. ولعل من أبرز هذه الدوافع، ما عُرف بالرغبات الثلاثة، وهي: **(**Lamoreaux, Jeremy W.,2019,p.1-4 **)**

أ-الرغبة التي تتقاسمها الصفوات الروسية -على الرغم من تباين توجهاتها ونحلها- في الاعتراف الدولي بقطبية روسيا: إذ إن قناعات جُل الصفوات الروسية في عهد القيادة البوتنية ما تفتأ تذكر قطبية نسق ميزان القوة أو النسق الذي لا يتحمور حول هيمنة عالمية أمريكية منفردة، وإنما نسق تتشارك فيه القوى الدولية الكبرى –التي من بينها روسيا-النفوذ العالمي.

ب-الرغبة في ترسيخ الهوية الروسية والنهم في استعادة الهوية السلافية على نطاق واسع: إذ تطمح القيادة البوتنية إلى ترحيب نطاق النفوذ الروسي" sphere of influence " ، إذ لا تألوا النخبة الحاكمة الروسية جهداً في عبء إثبات محورية الهوية الروسية السلافية في منطقة قلب الأرض، إذ تمتلك الكنسية الأرثوذكسية الروسية ما تملكه من قداسة في نفوس الكثيرين من الأعراق السلافية المختلفة، كما يمثل عرق الرس "Rus" الجذع المشترك الذي يتفرع منه كثير من القوميات القاطنة في منطقة أورآسيا: أي أن روسيا تجد الفرصة سانحة لبسط نفوذها ونشر هويتها السلافية في مناطق اهتماماتها التاريخية لدوافع روحية جيوبوليتيكية ناهيك عن الدوافع الاقتصادية. وثمة علاقة خاصة بين جغرافية روسيا وتشكيل هويتها القومية واستراتيجياتها الكبرى، إذ إن الطبيعة الجغرافية التي حبستها عن المياة الدافئة جعلها في اشرئباب دائم إلى الوصول إلى تلك المياة وبناء من الأساطيل البحرية ما يكفي من تمكينها من السيطرة على تلك المياه، كما أن مساحات روسيا البرية المترامية الأطراف شكلت هويتها الاستراتيجية، إذ ساقت الاستراتيجيين الروسيين إلى تبني استراتيجيات الدفاع في العمق(Petro, Nicolai and Rubinstein, Alvin, 1977).

ج-الرغبة في تقويض الهيمنة العالمية الأمريكية: إذ لا يجد بوتن غضاضة في تصدير للعالم الخارجي- لا سيما للولايات المتحدة -قواعد عمل جديدة لتوزيع الأدوار في منطقة الاهتمام السوفياتي التاريخيى مفادها: إنه لم يعد بمقدور قوة دولية غير روسيا السيطرة على جمهوريات البلطيق وأوروبا الشرقية التي ظلت ردحاً من الزمان قابعة تحت السلطان السوفياتي القديم، وأضحى لم يعد مستساغاً عند العقيدتين السياسية والعسكرية الروسيتين التسليم بالوجود الأمريكي في مثل هذه المناطق.

ويعد امتلاك روسيا لعوامل قوة الدولة هدفاً ووسيلة في الوقت ذاته لتحقيق استراتيجيتها الكبرى؛ إذ تستخدم روسيا عوامل قوتها لتبلغها منازل الهيبة الدولية وتصنع بها نفوذاً ومجداً عالميين، وإن التزود بعوامل القوة الروسية(سواء أكانت مادية أم ناعمة) بحثاً عن هذه الهيبة الدولية أو هذا النفوذ العالمي قد يولجها في أنفاق مظلمة من الصراعات مع الولايات المتحدة والغرب في كثير من الأحيان. وفي هذا المضمار يشير Roseأن حرص الاتحاد السوفياتي السابق ومن بعده روسيا على الاستكثار من الاستحواذ على عوامل القوة إلى الحد الذي يؤرق الغرب من شأنه أن يتسبب في انزلاق الطرفين في نوبات المعضلات الأمنية التي يخيم عليها الطابع الصراعي والتي قد تسفر عن نتائج لا يُحمد مغبتها.(Rose,G.; 1998, p. 159)، وقد يزداد هذا الطابع الصراعي ضراوة في حال تصميم روسيا على الاستقواء بقوى دولية أخرى من ثنايا التحالف، على سبيل المثال لقد أدى التحالف الروسي /الصيني*- على الرغم مما كانت كل من روسيا والصين تنوء بأثقال الصعود الدولي على اعتبار أن كلتيهما كانتا ضمن فئة الدول الصاعدة آنذاك- إلى سكب مزيد من الزيت على نار الصراع المتقدة بين التحالف الروسي/الصيني من ناحية والولايات المتحدة وسائر حلف الناتو من جهة أخرى، وذلك نتيجة نشر الناتو حائط الصواريخ على أراضي أوروبا الغربية لاحتواء هذا التحالف. (Mearsheimer, J. ,2014, pp.5-8.).

وأخيراً وليس أخراً لعل من أبرز أسباب تنبي استراتيجية الروسية الكبرى ما يعرف في أوساط المعنيين بالشأن الروسي بالظاهرة البوتنية "Putinism": وتعني الدوافع السيكولوجية لبوتن الطامحة ببناء دولة روسية قطبية على شاكلة روسيا القيصرية قبيل الحرب العالمية الأولى وذلك من خلال توحيد صف النخبة الحاكمة وحشد كافة الجهود الروسية وتسخير كافة الموارد الروسية لعودة روسيا إلى منزلتها التي كانت عليها من قبل في قمة هرم توزيع القوة على مستوى النسق الدولي، الأمر الذي يتطلب منها صياغة استراتيجية روسية كبرى وشاملة لبلوغ ذلك الهدف. (Nygren, B., 2012, p. 522.)

* الذي ظهر على الساحة الدولية بعد توقيع اتفاقية بينهما عام ١٩٩٧

المبحث الثاني: خصائص الاستراتيجية الروسية البوتنية الكبرى: غايات ووسائل

لقد شرعت روسيا منذ انهيار الاتحاد السوفياتي وتحديداً بقدوم بوتن إلى رسم استراتيجيات مغايرة له وتعكس توجهاتها الجديدة. إن الغاية الأسمى للاستراتيجية البوتنية هو التحرر من كافة القيود والتحديات الدولية التي تعيق قدرتها على ممارسة أدوارها العالمية المنشودة (Clark, Joseph Roger, 2019,p.229)، وتأتي أهداف الاستراتيجيات ضمن فئة الأهداف طويلة الأمد بعضها إقليمي: حال الحفاظ على وحدة الأقاليم الروسية وإحراز معدلات مرتفعة للنمو الاقتصادي، وبعضها خارجي: حال المشاركة في بعض التحالفات النسقية والمنظمات الدولية وجعل مجموعة دول الكومنولث منطقة حاجزة بينها وبين قوات حلف الناتو(Black, Cyril C., 1962,pp.3-38). وعلى أية حال ثمة العديد من الغايات والأهداف التي تسعى الاستراتيجية الروسية إلى تحقيقها في الآونة الأخيرة من خلال جملة من الوسائل ، والتي تميز الاستراتيجية الروسية الكبرى في عهد بوتن، ولعل من أبرزها ما يأتي:

١-الحفاظ على المصالح الأمنية الروسية وأمن نظام بوتن

يأتي في مقدمة المصالح الاستراتيجية الروسية والتي أعلنت عنها القيادة الروسية عام ٢٠١٥ ، ما يلي(Mcclintock ,Bruce and Others, 2021, p4.) :

أ-الحفاظ على أمن النظام السياسي، وردع أية محاولات من شأنها التدخل في الشأن الداخلي الروسي، والوقوف في وجه أية محاولة خارجية المصدر كانت أم داخلية والتي من شأنها تعكير السلم والأمن المجتمعيين.

ب- الهيمنة وبسط النفوذ في المحيطين الإقليمي والعالمي، وإدراك مستويات أكبر من عوامل القوة تؤهلها للمنافسة العالمية مع القوى الكبرى الأخرى، فضلاً عن الحفاظ على هيبتها الدولية.

جـ-العمل على زيادة الانتاج المحلي الروسي على النحو الذي يجعل من روسيا واحدة من أكبر الاقتصادات العالمية.

يصف نفر من الباحثين وفي طالعهم Person النهج البوتني -في استراتيجيته الجديدة- في الحفاظ على الأمن القومي الروسي بالستالينية الجديدة*؛ إذ إنه ثمة تشابه كبير بين توجهات بوتن وستالين مع

* وتجدر الإشارة إلى فكرة الاستالينية الجديدة من الأفكار التي يرتكز عليها الفكر البوتني في معالجة القضايا الأمنية في محيط الاتحاد السوفياتي السابق، ويؤمن الاستالينيون الجدد بأن روسيا هي أكبر قوة جيوبوليتيكية في القرن الحادي والعشرين،=

الاحتفاظ بالفارق الأيديولوجي بينهما فكما سعى ستالين إلى الحفاظ على أمن الاتحاد السوفياتي السابق في مناطق اهتمامه الجغرافي، يسعى بوتن إلى الحفاظ على الأمن الروسي في مناطق الاهتمام الروسي، مولياً ظهره لما كاد أن يرسيه سابقه يلتسن من تحجيم نطاق الدور الروسي خلال مدة ولايته. ولم تزده العقوبات الأمريكية الأوروبية التي كبدت روسيا ما يربو على ٤٠مليار دولار ونيف عشية غزوه شبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤ إلا إصراراً وعزماً على المضي قدماً في تثبيت دعائم الأمن الروسي والحفاظ عليه في المحيط الروسي ومجاله الحيوي**(** Person, Robert, 2019,pp.7-8**).**

ولقد اختلفت نظرة استراتيجية بوتن لمناطق النفوذ السوفياتي، إذ كانت تنظر القيادات السوفيايتة إلى تلك المناطق باعتبارها مداخل خلفية من الممكن استغلالها لاختراق وتهديد الأمن القومي السوفياتي آنذاك من قبل الدول الليبرالية من أجل ذلك عقدت العزم على تأسيس حلف وارسو ، أما نظرة بوتن لهذه الدول الصغرى المتاخمة لروسيا في الآونة الأخيرة تنحصر في أن هذه الدول تعد بمثابة دول تابعات أو صديقات محتملات لروسيا أكثر من كونها مرتكزات ومحاور استراتيجية من الممكن استغلالها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية أو القوى الأوروبية كمنصات اختراقية بمقدورها أن تهدد الأمن القومي الروسي.(Radin, Andrew and Reach, Clint, 2017,p.8)

وتتسم استراتيجية بوتن بروزنويتها *، إذ إنها تقوم على سياسات الربط بين الداخل والخارج، فهو يرى أن تهديد الأمن القومي ليس مقصوراً على التهديدات التي قد تأتي روسيا من بيئتها الدولية فحسب، ولكن من داخل النظام السياسي أيضاً، حيث إنه يرى إن من المعارضين والمنظمات الممولة والتي تمارس أنشطة على أراضٍ روسية ما هو أشد خطراً على المجتمع الروسي وتهديداً للأمن القومي الروسي؛ لذا شرع في وضع ضوابط حاكمة لأنشطة أي معارضين أو منظمات عاملة داخل الحدود الروسية والتي من شأنها أن تعكر الصفو المجتمعي أو تهدد القدرات الدفاعية الروسية أو أمن الدولة القومي أو النظام العام في الدولة أو حتى مجرد ممارسة أنشطة من شأنها العبث بصحة المواطنين (Radin, Andrew and Reach, Clint, 2017,p.9).

=كما كان الاتحاد السوفياتي أكبر قوة جيوبوليتيكية في القرن العشرين. لمزيد حول هذا الموضوع انظر: (Clark, Joseph Roger, 2019,p.230)

* نسبة إلى المنظر روزنو الذي قدم في ظريته الأولية التي قدمها لتحليل السياسات الخارجية للدول ما عرف بسياسات الربط ما بين وقائع الأحداث في داخل النظام السياسي وما يقع خارجه

وتجدر الإشارة إلى أنه لم تعد المصالح الأمنية الروسية في الاستراتيجيات البوتنية قاصرة على النواحي العسكرية وفقط، ولكن مفهوم الأمن القومي في هذه الاستراتيجيات بات يشتمل إلى جانب الأبعاد العسكرية على أبعاد أخرى حال الأبعاد السياسية والاقتصادية والالكترونية أو التكنولوجية،،،إلخ.

وتتمثل المصالح الأمنية الروسية ذات الصبغة العسكرية في القدرة على المحافظة على قواعدها العسكرية وتحقيق قدر من الهيمنة العسكرية military domain من ثنايا الانتشار العسكري خارج نطاقها الإقليمي ، ولعل من أجلى الأمثلة على ذلك الانتشار العسكري الروسي في منطقة الشرق الأوسط من ثنايا دعم روسيا نظام الأسد في سوريا من خلال مده بالمعدات العسكرية المتطورة ، ومنها: دبابات T-72 ومدرعات روسية الصنع وناقلات جنود، ويعد الهدف من هذا الانتشار العسكري الروسي وغيره من الانتشارات العسكرية العديدة خارج الأراضي الروسية هو تغيير قواعد ميزان القوة العسكري النسبي التي خضع لها العالم لبعض سنوات خلال العقد التاسع من القرن العشرين.(Clark, Joseph Roger, 2019,p.232)

ولعل من أبرز الأهداف المتوخاة من وراء ارتكاز الاستراتيجية الروسية الكبرى في عهد بوتن على الوسائل العسكرية هو إعادة روسيا كقوة عسكرية على الساحة الدولية من جديد من ثنايا الاتكاء على أحد أهم أوتادها المتمثل في قواها العسكرية، وذلك بعد أن ظلت سنوات قابعة تحت طابعها الدبلوماسي الرخو . كما إنه لا يروق للنخبة الحاكمة الروسية أن تضحى روسيا دولة قوية وقوة عالمية وهي مجردة من أهم مقومات القوة العالمية وهو القدرات العسكرية الفائقة. وفي هذا الصدد أقر بوتن بنفسه ذات مرة في عام ٢٠١٢ أن استحواذ روسيا على القدرات العسكرية الكفيلة بإحراز طموحات روسيا العالمية سيضع روسيا في مكانتها العليا على سلم توزيع القوة العالمي، وكذا كفيل أن يقيها الضغوط الدولية الجسام (Renz, Bettina,2016,pp.24-25)، وعدم توافر ذلك القدر الملائم من القدرات الروسية قد يتسبب في إحراج روسيا أو ينال من هيبتها الدولية ، وهذا ما حدث بالفعل إبان الحرب الروسية الشيشانية الثانية التي دامت زهاء عقد من الزمان"١٩٩٩-٢٠٠٩" نتيجة الخسائر الفادحة التي منيتها القوات الروسية في الشوارع الشيشانية، كما قد يؤدي إلى تقليص دورها العسكري كما كانت الحال في حرب العراق عام ٢٠٠٣.(Vladimir Putin ,2006) ؛ ومن هنا جاء اهتمام بوتن ببناء قدرات عسكرية تكفل لها هيبتها العالمية وانتشارها الدولي لاسيما في المناطق التي

تشكل مجالاً لاهتماماتها الدولية أو ما يعرف بمناطق مصالحها الحيوية "sphere of privileged interests"[1]

ويأتي في مقدمة الأهداف والمصالح الاقتصادية الروسية الهيمنة الاقتصادية العالمية، إذ تسعى القيادة الروسية إلى منافسة الاقتصاديات العالمية الكبرى للفاعلين الدوليين الكبار حال الولايات والصين والاتحاد الأوروبي .(Clark, Joseph Roger, 2019,p.232)

ولعل من أبرز غايات استراتيجيات بوتن هو الناشطية الدبلوماسية وتفعيل دورها لا سيما بعد أن فرضت الولايات المتحدة العقوبات الاقتصادية على روسيا على أعقاب غزوها لأوكرانيا، فلقد حاولت روسيا استخدام دبلوماسيتها لتحسين صورتها لدى الغرب والتطبيع معه حتى لا تتأثر مصالحها الاقتصادية والتي من أبرزها تصدير الغاز الروسي إلى أوروبا (Clark, Joseph Roger, 2019,p.233) ، وكذا تسهيل التحديثات والتطورات في الاقتصاد الروسي لتواكب التطورات الحادثة في الاقتصاد العالمي. Splidsboel-Hansen, Flemming 2002,, pp. (389-390)

وناشطية أو فاعلية الدبلوماسية الروسية في عهد بوتن التي في تطلع دائم لتحقيق أعلى معدلات انتشار هي ما ميزت بين الدبلوماسية في عهده وعهد سابقيه لاسيما في بداية مرحلة التسعينيات، إذ كادت أن تنحصر وظيفة الدبلوماسية الروسية في تلك المرحلة في تجنيب روسيا العزلة الدولية في وضع كانت تعاني فيه روسيا من الاهتراء الاقتصادي وانكسار همم جُل مواطنيها من جراء تراجع هيبة الروس دولياً بعد تفكك الاتحاد السوفياتي السابق. لذا كان بيت القصيد للدبلوماسية الروسية آنذاك هو التفتيش عن السبل التي تمكن روسيا من الاندماج في الاقتصادي العالمي من أجل إصلاح الاقتصاد الروسي وإحراز تنمية اقتصادية داخله. (Ivanov,Igor, 2002,pp. 141–149)

واتسمت الدبلوماسية الروسية خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين -باعتبارها إحدى أدوات تحقيق أهداف ومصالح الاستراتيجية البوتنية الكبرى- بالجمع بين نمطي الدبلوماسية التعاونية cooperative diplomacy والدبلوماسية التصادمية confrontative diplomacy ، فهي الدبلوماسية التي أيدت الحرب الأمريكية على الإرهاب في أعقاب أحداث ١١سبتمبر، وهي ذاتها الدبلوماسية التي أدانت الولايات المتحدة الأمريكية في مواقف كثيرة منها:حربها على العراق٢٠٠٣ ودعمها الثورات الملونة في أوكرانيا وجورجيا.ونقد بوتن من خلالها كذلك صراحة الهيمنة الأمريكية

[1] ويعد أول من استعمل هذا المفهوم الرئيس الروسي السابق Dmitry Medvedev

وفكرة الأحادية القطبية في مستهل كلمته-التي أصابت القادة الغربيين بالذهول-والتي ألقاها داخل أروقة منتدى ميونخ للأمن عام ٢٠٠٧ ، حيث أكد فيها على أن روسيا ثابرت على بناء قدراتها الاقتصادية والعسكرية التي تؤهلها للإرتقاء إلى مرتبة الدولة الكبرى المسئولة التي بمقدورها أن تمارس أدوراً دبلوماسية مكافئة للأدوار التي تمارسها الدبلوماسية الأمريكية. (Ziegler,Charles E,2018,p.131)

ولقد مهد هذا النمط الأخير من الدبلوماسية (دبلوماسية المواجهة أو الدبلوماسية التصادمية) في مجال الدبلوماسية البوتنية إلى ظهور نمط آخر جديد من الدبلوماسية عُرف بدبلوماسية بوتن الإكراهية Putin's coercive diplomacy : ويقوم هذا النمط من الدبلوماسية على فن التهديد باستخدام القوة أكثر منه فن الإقناع، وذلك من خلال استخدام بعض العقوبات الاقتصادية أو التجارية وغيرها من العقوبات ضد أية دولة تقع في المجال الحيوي الروسي تسعى إلى مساعدة الولايات المتحدة أو تسهيل مهمتها في بسط نفوذها على هذا المجال (Tkachenko, Stanislav, 2017,p. 121)

ولعل من أبرز وظائف الدبلوماسية باعتبارها أحد الأذرع التنفيذية للاستراتيجية البوتنية الكبرى هو الدفاع عن الهوية الروسية الجديدة المعروفة بالهوية غير الإيديولوجية والتي ترفض تماماً عنصر التصادم أو حتى مجرد التنافس المبني على خلفية أيديولوجية، إذ إن هذه الدبلوماسية ترتكز في مباشرة مهامها على منصات براجماتية لتوفير المناخ الملائم والتربة الخصبة للنسق الدولى المتعدد الذي يقبل بالتعايش بين القوى الكبرى لا التنافس بينها على أسس أيديولوجية. إن الهوية التي يرتضيها بوتن لروسيا وتسعى استراتيجته إلى الترويج لها هي القومية العقلانية nation-mindedness، وهذه الهوية تنطلق من فرضيتين رئيسيتين، وهما: الأولى التفردية أو التميزية " spetsifika" : وتعني في مجال السياسة الخارجية أن الدولة الروسية ليست أمة عادية كحال كثير من الأمم، ولكنها حضارة فريدة مميزة لها خصوصيتها و جزء لا يتجزأ في الوقت ذاته من الحضارة الأوروبية، ومن ثم ليس من المقبول لدى معتنقي هذه الهوية أن تظل روسيا بعيدة عن القيادة العالمية وتاركة بذلك للولايات المتحدة الفرصة سانحة لتشكيل القواعد والأنماط الدولية الحاكمة للبيئة الدولية منفردة. أما الفرضية الثانية فهي تنطلق من تصور مفاده: إن الاقتصاد الروسي تاريخياً من الاقتصاديات المتجذرة الجذعية التي يعتمد عليه كثير من اقتصاديات الدول في نطاقها الإقليمي والعالمي على حدٍ سواء، حيث تعتمد كثير من الاقتصاديات الأوروبية النهمة في الموارد الطبيعية الروسية لا سيما الغاز الطبيعي عليه في تشغيل العجلة الانتاجية لبعض قطاعاتها الانتاجية.(Lo.Bobo; 2018,pp4-5) .

ولعل من أبرز صورالهوية القومية والتي تهدف الاستراتيجية الروسية إلى نشرها عالمياً ما عُرف بهوية "الدولة العظمى" Russia's Great Power Identity ، إذ تعني هذه الهوية أن روسيا قوة عالمية ولها مصالح واهتمامات عالمية وليس فقط في نطاقها الأوروآسيوي وأن لروسيا هوية مستقلة ورؤية تعبر عن طموحاتها مختلفة في جوهرها عن الاتحاد السوفياتي السابق، ولقد تبنت روسيا في عهد بوتن هوية الدول الكبرى التي تنطلق من مقدمات الانتشار الدولي والهيمنة العالمية على أسس براجماتية لا عقائدية أيديولوجية في مناطق خارج نطاقها الإقليمي حال أفريقيا والشرق الأوسط.) Trenin, Dmitri,2002,pp.35-36)

ويستخدم بوتن الدبلوماسية الروسية لفتح حوار جديد مع الولايات المتحدة بعد أن قضت الولايات المتحدة فترة توجس من القيادات الروسية الطامحة حال بوتن، واستطاع بوتن بفضل دبلوماسيته أن يدمج روسيا في المنظمات الدولية حال OSGE وفيها طمأن الغرب بشأن المخاوف التي تساورهم من أنه سوف يخطو خطوات جادة نحو التحول الديمقراطي وتقديم إجراءات إصلاحية في مجال حقوق الإنسان، كما أنه استخدم دبلوماسيته لاستئصال شأفة التكتل الغربي الذي يجتمع على قلب رجل واحد لتشويه صورة نموذج الصعود الروسي وشن هجمة شرسة على هوية الدولة الروسية. (Starr.S.Frederrick and Cornell , Svante E.,2014,pp.61-62)

ويجند بوتن الدبلوماسية الروسية لدخض ما أسماه بالكذبة الغربية الكبرى "Western hypocrisy" ؛ إذ إنه ينبذ ما ينسبه له الغرب -إفتراءً عليه – من انتهاكه للقانون الدولي واختراقه للأعراف الدولية عندما قامت روسيا بشن حربها على أوسيتيا الجنوبية عام ٢٠٠٨، وما قامت به من ضم شبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤. لذا يستخدم صور الدبلوماسية الروسية لتحسين الصورة الذهنية والانطباعات التي حاول تشويها الغرب لدى العالم أجمع، وبأي حال من الأحوال يوظف بوتن الدبلوماسية الروسية للتصدي للتحديات التي فرضها عليها الغرب، ومنها: (Franco, Marc; .2021.,pp4-5,6-7)

-الاحتواء غير الفعال "passive containment" الذي يسعى من ثناياه الغرب إلى تقويض النجم الروسي الساطع في كثير من البقاع على مستوى العالم لا سيما في الشرق الأوسط.

-الاحتواء الفعال "active containment"من ثنايا محاولة استقطاب دول الجوار القريب حال أوكرانيا وجورجيا (والتي تقع ضمن المجال الحيوي الروسي) إلى حل الناتو والتي كادت أن تولج العالم في حرب باردة جديدة.

-التراخي في تطبيق استراتيجية الاسترخاء التدريجي المتبادل : والذي من شأنه أن يطلق الغرب يد روسيا في مناطق نفوذها الجغرافي والاعتراف بالمصالح الروسية في تلك المناطق في مقابل أن توطد روسيا علاقاتها الاقتصادية مع الغرب نظراً لما تملكه من موارد الطاقة.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة مجموعة من الملاحظات العامة بشأن المصالح الروسية العالمية يتعين ذكرها، وهي: (Mcclintock ,Bruce and Others, 2021, pp3-4.)

أ-إن نظرة الكرملين لصورة "النسق الدولي القائم" قائمة على أنها تشهد تحولاً ملحوظاً من الأحادية القطبية بهيمنة أمريكية إلى نسق متعدد وروسيا أحد أقطابه، لاسيما بعد أن كشفت الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨ النقاب عن حقيقة عوامل قوة الولايات المتحدة خاصة الاقتصادية.

ب-إنه على الرغم من تصريحات القيادة الروسية المتلاحقة بشأن عدم انتهازية السياسات الخارجية الروسية إزاء نطاقها الإقليمي، بيد إنه لوحظ من قبل المعنيين بدراسة الشئون الروسية أن سياسة بوتن تحديداً تجاه هذا النطاق يغلب عليها الطابع الانتهازي .

جـ-أن القيادة الروسية تشيح في تسخير كافة الوسائل والأدوات لتحقيق أولويات استراتيجياتها ومصالحها العالمية، وآلى بوتن على نفسه أن يجند كافة موارد الدولة الروسية لتحقيق تلك الأولويات والمصالح.

د-إن طبيعة الطموحات الروسية العالمية التي يغلب عليها الطابع البراجماتي تختلف عن طبيعة الطموحات السوفياتية التي يغلب عليها الأيديولوجي.

لاريب أن إصرار القيادة الروسية على تحقيق المصالح القومية الروسية كان له عظيم الأثر على توجهات الاستراتيجيات الروسية، على سبيل المثال: فلقد دفع التراجع الحاد في معدل النمو الاقتصادي السوفياتي في الفترة (١٩٨٥-١٩٩١) الرئيس الروسي يلتسن(الذي ينتمتي إلى تيار أنصار الفكر السياسي الجديد) إلى تبني استراتيجية السلام البارد"cold peace" بدلا من الحرب الباردة "cold war" خلال فترة حكمه(١٩٩٢-١٩٩٩) لإنقاذ الاقتصاد الروسي وذلك من خلال مد يد التعاون للمعسكر الأوروبي الغربي. (Berryman, John, 2018,p.69)

ولقد سعت القيادة الروسية -حرصاً منها على الحفاظ على الأمن القومي الروسي- إلى التنسيق والتفاهم مع حلف الناتو(المهدد الأكبر للأمن القومي الروسي) عام ١٩٩٧ من خلال إقناع الناتو بالتخلي عن نيته في نشر أسلحة نووية أو نشر قوات مسلحة إضافية على أقاليم الدول التي ترغب في الانضمام إلى حلف الناتو لاسيما دول الهامش بالمفهوم الجيوبولتيكي الشهير للمفكر سبيكمان(والتي تحيط بقلب الأرض "روسيا" ومنها: بولندا وجمهورية التشيك والمجر، ولقد انضمت ثلاثيتهم بالفعل إلى حلف الناتو عام ١٩٩٩)(Tsygankov, A. P.,pp.127-130)

شهدت بدايات الألفية الجديدة تزامناً مع قدوم بوتن إلى سدة الحكم في روسيا تحولاً كبيراً لتوجهات الاستراتيجية الروسية الكبرى حيث انتهجت روسيا خلال الفترة(٢٠٠٠-٢٠٢٠)استراتيجية الحرب الباردة الجديدة "new cold war"بدلاً استراتيجية السلام البارد التي اتبعتها قبل قدوم بوتن. ولعل من أبرز أسباب هذه الحرب هو ما عرف بمشروع أوربا الكبرى "Greater Europe" ، وهو ذلك المشروع الذي دعا إليه بوتن كمحاولة للسيطرة أوالهيمنة الروسية على أوروبا في مواجهة الهيمنة الأمريكية، مما دفع الولايات المتحدة في المقابل إلى إشعال فتيل ما عرف بالثورات الملونة في جورجيا وأوكرانيا وعرضت الولايات المتحدة على هذه الدول عضوية حلف الناتو ولكن الهجوم الروسي في أوستيا الجنوبية عام ٢٠٠٨ حال دون انضمامها إلى الناتو، فضلاً عن أنه منح فرصة أكبر لروسيا للأستقطاب والتوسع في مناطق الاهتمام السوفياتي السابق. (Berryman, 2009, pp.169–173, See also Berryman,2011, pp233-239)

ويمكن القول: إنه على الرغم من محاولات بوتن المضنية وطموحاته الكبيرة في تحقيق الأهداف والمصالح الأمنية للاستراتيجية الروسية الكبرى ، إلا إنه قد جوبهت طموحات استراتيجيته هذه بتحديات عدة، منها ما حاول به الغرب والولايات المتحدة من شن هجمات إعلامية شعواء لتشويه الدور الروسي وفرض عقوبات اقتصادية عليه، وتقويضه بجملة من المكابح النسقية كما انتهجت من سياسات مشابهة من قبل في مواجهة الاتحاد السوفياتي؛ الأمر الذي دفع بوتن إلى استخدام العديد من الوسائل مثل الدبلوماسية والاقتصادية وخلق العديد من النزاعات العرقية داخل ما يعرف بمنطقة الصراعات المجمدة "frozen conflicts" حال القوقاز ومولدوفا وأوكرانيا ليجد لنفسه مسوغاً للتدخل العسكري ونشر قواته بالقرب من القوات الغربية وفي مواجهتها (Starr, S. Frederick and Cornell, Svante,2014,pp.59-61)

٢-الهيمنة في الفضاء(الجوار) الروسي القريب

ويقصد بالفضاء أو الجوار الروسي القريب near abroad عند النخب الروسية الحاكمة- وعدد لا يستهان به من الباحثين في الشئون الروسية- كافة الدول التي خضعت للسلطان السوفياتي ما عدا جمهوريات البلطيق، وحدة النفوذ الروسي ليست واحدة في النطاق الجغرافي للجوار الروسي القريب ، فمستويات النفوذ الروسي في تلك المنطقة تتباين تبعاً لما تمثله دول هذه المنطقة من أهمية لدى المصالح الروسية، وفي هذا الصدد يمكن تقسيم خريطة النفوذ الروسي في دول الجوار القريب وفق أهميتها إلى ثلاث فئات، وهي:(Radin, Andrew and Reach, Clint, 2017,pp.9-12)

أ-دول القلب: وتتألف هذه الدول من بيلاروسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وأوزبكستان وأوكرانيا وجورجيا وأرمينيا، وتمثل هذه ضمن نطاق المصالح الحيوية الروسية لما تمثله من أهميات جيوبوليتيكية واستراتيجية واقتصادية لروسيا.

ب-دول الأطراف: تشمل هذه الدول مجموعة دول البلطيق (إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا)، وتستضيف هذه الدول أقليات روسية على أرضها مما جعلها محط أنظار القيادات الروسية، وتستخدم روسيا هذه الأقليات أداة للتدخل في الشئون الداخلية لهذه الدول. وتجدر الإشارة هنا أنه على الرغم من الأهمية التي تمثلها هذه الدول لدى القيادات الروسية، إلا إنها لا ترتقي لنفس المستوى من الأهمية الذي تشغله دول القلب.

جـ-دول الهامش : وتضم هذه الفئة من الدول دول أوروبا الشرقية (ألبانيا وبلغاريا والجمهورية التشيكية والمجر وبولندا ورومانيا)، ودول غرب البلقان(البوسنة والهرسك وكوسوفو ومقدونيا والجبل الأسود)، وتمثل هذه المنطقة أهمية جيوسياسية لروسيا نظراً لكونها تمثل طوقاً، وبمقدور من يسيطر عليه أن يطوق النفوذ الروسي في مجالها الحيوي.

ويستقر في العقيدة الروسية ووجدان قياداتها السياسية أن انقياد دول الجوار الروسي للنفوذ الروسي والاعتراف بروسيا كقوة كبرى يتعين ألا ينصب هذا النفوذ على دعائم مادية وفقط، ولكن يتعين أن يرتكز إلى جانب هذه الدعائم المادية على مصادر نفوذ معنوية. ويشير في هذا الصدد بعض الباحثين –أمثال Ronald Suny - أن التوسع الإمبريالي الهوياتي Imperial identityالروسي (باعتبارها أحد مصادر النفوذ المعنوي الروسي) -في نطاقها الإقليمي والذي بلغ أوجه خلال الفترة ما بين العقدين السادس عشر والتاسع عشر-هو ما رسخ الأقدام الروسية في مثل هذه النطق، وعبد

الطريق لقيام الاتحاد السوفياتي .(Suny, Ronald,1997,p. 20)، وفي سياق متصل نرى أن اتساع نطاق الهوية الروسيةRussian identity لتشمل إلى جانب العرق الروسي (Great Russians) ethnic Russians) "Russians" الروس البيض أو العرق البيلاروسي 'White Russians' (Byelorussians) والعرق الروثيني أو الأكراني (Ukrainians) 'Little Russians' سهل الطريق لاتساع نطاق ما عُرف بالعالم الروسي Russkiy Mir, or Russian world ، والعالم الروسي هذا مهد لبزوغ ظاهرة الرفقاء الروسيين ".compatriots" Russia's والتي تصف جمع من المواطنين في نطاق الجوار الروسي يتشاركون في خصائص عدة،منها: إنه يدين معظمهم بالولاء للكنيسية الأرثوزوكثية، وينطقون باللغات السلافية، ويتمتعون بالهوية الروسية بأعراقها المختلفة، ويعتقد بوتن بأن مثل هذه الظاهرة أي الرفقاء الروسيين تعد اللبنة الأولي في صرح القطب الروسي الجديد.(Radin, Andrew and Reach, Clint, 2017,pp12-13.).

وتنطلق الاستراتيجية الروسية في تعاملها مع منطقة الجوار القريب من ثنايا سياسة ملء الفراغ، إذ إن القيادة الروسية لا تبرح حتي تبلغ مبتغاها الجيوبوليتيكي من تلك المنطقة، ألا وهو أن تصبح القوة العالمية الجيوبوليتيكية في تلك المنطقة والتي تمتلك من مفاتيح القوة التي تؤهلها لردع أي قوة دولية تسعي إلى مزاحمة أو منافسة هيمنتها الجيوبوليتيكة في تلك المنطقة.(Dick,1994., p. 3)، وتجدر الإشارة إلى أنه لا يختلف أثنان داخل أروقة الإدارة البوتنينة حول تبني مثل هذه السياسية، ولكن قد يختلف بعضهم حول طابع هذه السياسة بعبارة أخرى هل من أن الأنسب أن تصبغ هذه السياسة بالطابع الدفاعي أم من الأجدر أن تكون سياسة استباقية؟، بمعنى أكثر وضوحاً هل تتحين روسيا الفرص لتملء الفراغ في حال ظهوره وبعده تنظر في الوسائل التي من الممكن أن تستخدمها لتحقيق مرادها أم أنه على القيادة السياسية أن تملي إرادتها وتخضع غيرها من دول الفضاء القريب لنفوذها كفعلتها في أوكرانيا عام ٢٠١٤ وذلك تحسباً من قدوم قوى دولية أخرى بمقدورها أن تهدد المصالح الحيوية الروسية؟ ويجزيم المعنيون بالشأن الروسي أنه ليست هناك إجابة واحدة عن هذا التساؤل، فالطابعان الدفاعي و الاستباقي واردان في استراتيجيات بوتن.

والحق أن الهيمنة الروسية على منطقة الجوار لاتنطلق من مقدمات أيديولوجية بلشفية كما كانت الحال في عهد الاتحاد السوفياتي السابق، وإنما تنطلق الهيمنة الروسية على الجوار القريب من منظور براجماتي يقدس المصلحة القومية وينبذ الأفكار الايديولوجية. وفي هذا المضمار صرح بوتن عام ١٩٩٩ في خضم استعداداته لخوض الألفية الجديدة بأن الأيديولوجية الشيوعية أيديولوجية تبنى على

خبرات خافقة، وتسببت في عجز الاتحاد السوفياتي السابق عن الإيفاء بمتطلبات النهوض بالمستويات المعيشية للأفراد والالتحاق بمجتمعات الرفاهة (Clark, Joseph Roger, 2019,p.230)

وتعد منظمة اتحاد الدول المستقلةCIS- كإحدى أهم مناطق الجوار القريب- المنطلق الرئيس لاستراتيجية بوتن البراجماتية خاصة بعد إعلان بوتن غلق الصفحة السوداءblack chapter" في العلاقة بين روسيا و الولايات المتحدة والدول التابعة لها ، وفي هذا الصدد أكد بوتن في حوار له عام ٢٠٠١ أن علاقته مع دول CIS تقوم على التكامل والتعاون المشترك وهي النواة التي ستبني عليها روسيا علاقاتها التعاونية مع دول أوروبا والولايات المتحدة لتهيئة المناخ لعالم أكثر تكاملاً تحكمه قوى متعددة،ذلك العالم الذي يرى فيه بوتن أن روسيا وغيرها من الدول والقوى الكبرى ستنعمن بأوضاع أمنية أفضل.(Zevelev ,Igor,2002,pp.447-465). وإمعاناً منه في ذلك أكد بوتن تأييده لاستراتيجية الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب في أفغانستان، وأكد على أن روسيا واحدة من الدول الكبرى المعنية بمكافحة الإرهاب الدولي، وهي شريك أصيل للولايات المتحدة وكافة دول معسكر مناهضة الإرهاب في مكافحة ومناهضة الإرهاب ليس فقط في أفغانستان ، ولكن في كافة بقاع البسيطة.

ويدلي بوتن في كثير من تصريحاته بأن استراتيجياته تولي اتحاد الدول المستقلة أهمية خاصة، نظراً لما تحويه هذه الدول من أهمية اقتصادية جيوبوليتيكية لروسيا، لذا قام بوتن بإنشاء ما عرف بإعادة إحياء مشروع اتحاد الدول المستقلة بثوب جديد "CIS project" ، ويقوم هذا الإحياء على قوامة مفادها أن روسيا دولة كبرى في مجالها الإقليمي والمحلي تقوم علاقاتها مع دول CIS على مبدأ السيادة المستقلة، وأن هذه الدول تقع ضمن الحديقة الخليفة لروسيا، ومن ثم يتوجب على هذه الدول التنسيق مع روسيا لعدم السماح لقوى دولية أن تمارس أدوراً من شأنها تهديد الأمن القومي الروسي، وبات المرتكز الذي ترتكز إليه السياسة الخارجية الروسيى تجاه تلك الدول هو أن روسيا دولة كبرى صديقة، فلا هي دولة شائخة مستعمرة ولا هي دولة فتية بازغة توسعية تمارس الهيمنة والتدخلية في شئون غيرها.(Baev, Pavel:2003, pp. 41-51)، ويؤكد بوتن إعلامياً كذلك أن روسيا باتت تدير ظهرها للشعارات الاستعلائية التي كانت ترفعها روسيا القصيرية في وجه جيرانها قديماً، والتي كانت توحي بالطابع الأناني المصلحي ، والتي كان من بينها الشعار الذي كان يرفعه القصير إسكندر الثالث والذي مفاده"أنه ليس لروسيا سوى صديقين، وهما: قواتها البرية وأسطولها البحري"، ويعتقد بوتن أن المعادلة السياسية الآن تغيرت والظروف البيئية تحولت فلا طائل من وراء رفع مثل هذه الشعارات، وإنما الأجدى لروسيا ولاتحاد الدول المستقلة هو التعاون المشترك والصداقة

طويلة الأمد لاسيما وأن النخبة الحاكمة الروسية ليس لديها عداء مباشر مع أنماط الديمقراطة الغربية التي يدين بها بعض أنظمة هذه الدول(Shevtsova, Lilia 2005, pp.335-336)، وأن مزية التقارب الجغرافي تسهل لها مهمة تأطير التعاون الاقتصادي في شكل منظمة عُرفت بالاتحاد الاقتصادي الأوروآسيوي ، وعلى الرغم من ذلك فإن عدداً ليس بالقليل من المحللين الواقعيين يجزمون بأن سلوك روسيا تجاه هذه الدول لم يكن بهذه الصورة المغرفة في الليبرالية فهو لا ينطلق من مبادئ أخلاقية ولا أسانيد قيمية تاريخية على طول الخط كما يدعى بواتن في تصريحاته الإعلامية أحياناً، ولكن سياسة روسيا كانت ولا تزال تنطلق في تعاملها مع مثل هذه الدول من منظور الهيمنة واعتبارات المصلحة القومية وتنظر إليها باعتبارها توابع ليست إلا، وهذا ما عبر عنه بوتن ضمناً في مؤتمر فالداي عشية ضم شبه جزيرة القرم لروسيا عام ٢٠١٤. (Franco, Marc; 2021.,p2)

وتأتي الاستراتيجية البوتنية تجاه هذه الدول متأثره بتفضيلات الجماعات القومية الروسية preferences of nationalist groups، ويمكن تصنيف هذه إلى جماعتين رئيسيتين لكل منها توجهاتها المختفلة: وتعرف المجموعة الأولى بالجمعات القومية المنادية بالتوسع على أساس التعدد العرقي 'empire-savers' multi-ethnic imperialist: وتعتقد هذه الجماعات القومية بضرورة أن تعيش كافة القوميات والدول المجاورة لروسيا في كنف القومية الروسية وتتعامل معها من منظور التعايش المشترك بين الثقافات والتعاون بصوره المختلفة بين الجماعات ، في حين تنادي الجماعات القومية القائمة على القومية الروسية المفردة 'nation-builders' ethno-nationalist بإعلاء المصلحة القومية الروسية فوق كل اعتبار، وأن تقوم العلاقة بين روسيا والدول المجاورة على سيطرة القومية الروسية السلافية على القوميات الأخرى المجاورة على اعتبار أنها كانت تعيش جميعها وتخضع لروسيا القيصرية من قبل.(Kolstø, p., 2016 ,pp.18-40)

إن الاستراتيجية الكبرى الروسية تنطلق في تعاملها مع اتحاد الدول المستقلة من مبدأ Primakov Doctrine ويضع هذا المبدأ هذه الدول ضمن فئة دول المجال الحيوى الروسي وأولى مناطق نفوذه، وهي تعد بمثابة مناطق أو دول حاجزة buffer states بين روسيا والقوى الأوروبية والعالمية ، لذا تعتبر القيادة الروسية أن التواجد العسكري الروسي في مثل هذه الدول بمثابة صمام أمان لها من أية محاولات عدوانية محتملة (Franco, Marc; 2021.,p3)

ويذهب نفر من الباحثين إلى أن هيمنة روسيا على منطقة الجوار القريب قد تلج العالم في حرب باردة جديدة new Cold War"، إذ إن مثل هذه الهيمنة تثير حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية الأمر الذي يدفعها إلى تفعيل وتنشيط دور حلف الناتو لتطويق روسيا كما فعلت من قبل مع الاتحاد

السوفياتي، نظراً لكون القادة الأمريكان يعتبرون أن سطوع نجم أية قوة عسكرية في تلك المنطقة أو في الوجه المقابل لها بمثابة تهديد مباشر للأمن القومي الأمريكي، ولقد عبر عن ذلك صراحة غير واحد من المسئولين الأمريكان خلال عامي ٢٠١٧و٢٠١٨ ، إذ اعتبروا أن الولايات المتحدة تشعر بالقلق إزاء التوسعات الروسية في المنطقة التي تطلق عليها القيادة الروسية "الجوار القريب"، حيث إن من مثل هذه الأعمال ما يمثل تهديداً صريحاً للأمن القومي الأمريكي. (Majumdar, David, 2018)

٣-الاعتراف بقطبية روسيا

إن من أبرز المبادئ العامة التي تبني عليها استراتيجية روسيا منذ تفكك الاتحاد السوفياتي السابق لا سيما في عهد بوتن هو الترسيخ لصيغة نسق متعدد القوى القطبية ونبذ أحادية النسق بقيادة أمريكية منفردة وانقياد دول العالم كافة لها، وأضحى المبدأ الحاكم للاستراتيجية الروسية منذ عام ٢٠١٣ ليس فقط مجرد أن تصبح قوة فاعلة صاعدة لديها الرغبة في المشاركة في تحويل النسق الدولي إلى صورته المتعددة –كما كانت في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين- وإنما إعادة صياغة العالم المعاصر على النحو الذي يجعل من روسيا قطباً مؤثراً في تلك الصورة من النسق الدولي. (Radin, Andrew and Reach, Clint, 2017,pp15-16.) ، وبات واضحاً للعيان الدور الروسي المؤثر في كثير من المواقف والمناطق، إذ أصبحت قادرة على الانتشار الدولي لاسيما في مناطق الاهتمام العالمي وأضحت لديها القدرة على التنسيق مع غيرها من الأقطاب الدولية أو حتى التدخل منفردة لحسم الصراعات الإقليمية في مناطق عدة، على سبيل المثال كان لروسيا دور كبير في حسم الصراع في البوسنة في تسعينيات القرن الماضي، ومفاوضات نزع السلاح والدعوة لوقف إطلاق النار بين نظام الأسد والمعارضة السورية في الأزمة السورية الأخيرة. كذلك التدخل في الشأن الأوكراني وجعله منطقة نفوذ روسي بالقوة (Radin, Andrew and Reach, Clint, 2017,pp17-18) ، ناهيك عن تطويعها مجموعة دول البركس لتحقيق بعضاً من أهدافها ومصالحها العالمية، والتعاون والتنسيق بين دول منظمة شنغهاي للتعاون وتسخيرها لموازنة الوجود الأمريكي في وسط آسيا .(Radin, Andrew and Reach, Clint, 2017,pp17-18.)

إن غاية الاستراتيجية البوتنية هي التوصل لصيغة نسق متعدد القوى القطبية ونبذ الأحادية القطبية الأمريكية المهددة لأمن القومي الروسي والطموحات الروسية العالمية، وتعتقد القيادة الروسية أنه من أبرز الوسائل التي من الممكن استخدامها لتحقيق مثل هذه الغايات هي استراتيجية الموازنة، حيث تسعى روسيا إلى تشكيل قوة دولية أورآسيوية عظمى "great Eurasian power" بقيادتها لموازنة

الهيمنة الأمريكية في منطقة أوروآسيا، وعلى الرغم من من ذلك تجابه غاية استراتيجية في الاعتراف بقطبية روسيا والوصول إلى صيغة نسق متعدد القوى القطبية بتحدٍ كبير وهو القبول غير واسع النطاق عالمياً بقطبية روسيا، إذ يظل قطاع ليس بالقليل من الدول لاسيما الغربية تؤمن بإقليمية القوة الروسية وليس بعالميتها ،وتعتقد بكونها مجرد مسئولة إقليمية قادرة على حسم العديد من المشكلات الإقليمية ولكنها عاجزة واقعياً عن المسئولية الدولية على نفس القدر الذي عليه الولايات المتحدة الأمريكية.(Lo.Bobo; 2018,p.3)

ويعتقد نفر من المنظرين أن رؤية روسيا للتحول إلى القطبية المتعددة لاتقوم على التصادم المباشر المسلح، إذ تؤمن القيادة الروسية بأن قواعد الحرب قد تغيرت وتحولت من الحروب النارية إلى الحروب غير النارية أو يعرف بالحروب الهجينة "hybrid warfare" ، ومن ثم سيشهد النسق تحولاً سلمياً لا عنيفاً كما حدث قبل ذلك حينما تحول النسق الثنائي القطبية إلى الأحادية القطبية في بدايات التسعينيات القرن المنصرف.(Franco, Marc; 2021.,p.2)

وواقع قواعد اللعبة السياسية في سوريا توحي بأننا بصدد نسق متعدد القوى القطبية أو بصدد مخاضه على أقل تقدير، إذ يعد الفاعل الدولي الأكبر والأكثر تأثيراً في المشهد السوري هو روسيا، والعلل من وراء التدخل الروسي في سوريا كثيرة، منها:

أ-محاولة استعادة أمجاد القطبية السوفايتية ومناطق نفوذها وطموحاتها في منطقة الشرق الأوسط، ولكن بأسلوب جديد يراعي خصوصية الاستراتيجية الروسية الجديدة وطبيعة المتغيرات الدولية، بعبارة أخرى ليس ثمة مجال لصراع قطبي على أساس أيديولوجي، وإنما مضمون الصراع بين روسيا وأية قوة قطبية أخرى بما فيها الولايات المتحدة هو المصلحة القومية واقتسام مناطق النفوذ .

ب-تجد روسيا من الأزمة السورية فرصة سانحة لبناء قاعدة عسكرية روسية متكاملة في سوريا ولتكون مفصلاً استراتيجياً لها في الشرق الأوسط بالقرب من القواعد العسكرية الأمريكية في منطقة الخليج.

جـ-استخدام الاستراتيجية الروسية تدخلها لحماية نظام الأسد من مناوشات المعارضة وهجمات الجماعات الإرهابية كأداة للترويج لقدرة روسيا على ممارسة أدور دولية مسئولة في مجال الحفاظ على الأمن العالمي والوقوف في وجه أي مواطن من شأنها أن تثير تهديدات دولية بمقدورها أن تعكر صفو الاستقرار الدولي.

د-اختبار الميزان الاستراتيجي أو العسكري بين الولايات المتحدة وروسيا، والذي أفرز تحقيق نصر عسكري روسي.

هـ-زيادة ناشطية الدبلوماسية الروسية من خلال رعايتها أية عمليات تفاوض بين نظام الأسد والمعارضة والجماعات الجهادية، على سبيل جاءت عمليات "وقف إطلاق النار وتهدئة الأجواء التصعيدية" في الأستانة عام ٢٠١٧ برعاية روسية وبمشاركة قوتين إقليميتين لهما تأثير لا يمكن إغفاله على الأحداث في سوريا، وهما: تركيا وإيران (Stepanova, Ekaterina; 2020,pp40-42)

وحقيقة الوضع في سوريا يعكس الحال التي يشهدها النسق الدولي الراهن، فليس هناك قوة وحيدة بمقدورها وبمفردها حسم المشهد على الأراضي السورية(وإن كان لروسيا الدور الأكبر)، ولكن الأمر بحاجة إلى التنسيق بين القوى الكبرى(أمريكا، روسيا ،و الصين)، والأمر الذي يشي بأن صورة النسق تحذو صوب التعددية على غير إرادة الولايات المتحدة وبتأييد روسي صيني كبيرين. (Stepanova, Ekaterina; 2016,pp. 7-13)

كما تظهر روسيا كفاعل دولي كبير له القدرة على تحريك الأحداث في ليبيا، فهي من أكبر الداعمين العسكريين للجنرال خليفة حفتر هذا من ناحية، وتسعى للعب دور دبلوماسي كبير من ناحية أخرى، إذ سخرت روسيا دبلوماسيتها المكوكية وحضر بوتن بنفسه قمة برلين في يناير ٢٠٢٠ وكان لروسيا قصب السبق في إقناع الدول المعنية بضرورة مشاركة كافة أطراف الصراع في ليبيا وكذلك الأطراف الإقليمية القمة، حيث أكد على أنه لا حل للمشكلة الليبية دون جلوس كافة الأطراف المعنية على طاولة المفاوضات، ودعت روسيا السراج وحفتر للتفاوض في موسكو وحل النزاع تفاوضياً غير أن السراج لم يلبي الدعوة نظراً لتقدمه عسكرياً على الأرض آنذاك. (Stepanova, Ekaterina; 2020,pp.49-55)

وسعت الدبلوماسية الروسية في الفترات الأخيرة إلى اتخاذ مواقف دبلوماسية متشددة ومناوئة لسياسات الولايات المتحدة تجاه بعض القضايا المحورية في السياسة الخارجية الأمريكية وهي قضية الصراع الفلسطيني/ الإسرائيلي ، حيث نبذت الدبلوماسية الروسية صفقة القرن التي حاول ترامب تمريرها واعتبرتها صفقة متحيزة تقوم على مبادئ الفصل العنصري واعتبرت مسألة نقل العاصمة إلى القدس الشرقية وسيطرة إسرائيل على هضبة الجولان اللتين تؤيدهما الولايات المتحدة من المسائل

المرفوضة لتعيد بذلك روح الحرب الباردة بين الدولتين. (Stepanova, Ekaterina; 2020,pp.49-55)

٤-الشراكة العالمية في إدارة المشكلات السياسية والاقتصادية

تحولت الاستراتيجية الكبرى الروسية تحولاً جذرياً عن ذي قبل؛ فلم تعد سياسة روسيا تجاه الولايات المتحدة والقوى الكبرى تقوم على الصراع المفضي إلى حرب أو حتى السلام الفاتر السلبي 'negative peace'، بل أصبح المرتكز الرئيس للسياسة الروسية الذي تنطلق منه في معالجة بعض المشكلات الدولية لاسيما ذوات الاهتمام العالمي هو التنسيق وتوزيع الأدوار والتمتع بالعمل استناداً إلى فلسفة روح الفريق "the "teamwork philosophy بين القوى الكبرى بدلاً من الصراع العنيف أو مواجهة بعضها بعضاً وجهاً لوجه. وفي معنى لا يختلف كثيراً عن هذا السياق عبر وزير الخارجية الروسي عام ٢٠١٦ أن روسيا تسعى جاهدة لا لمواجهة الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي ولا التصادم مع حلف الناتو ولكن تأمل في توطيد العلاقات التعاونية ، والتي يتعين أن تقوم على المساواة بين القوى الدولية وضمان الحفاظ على أمن تلك القوى دون الإضرار بأمن أي منها (Radin, Andrew and Reach, Clint, 2017,pp21-22).

المبحث الثالث-مداخل تفسير الاستراتيجية البوتنية الكبرى

لقد استخدم باحثون كثر مداخل كثيرة وزوايا مختلفة لسبر أغوار حقيقة الاستراتيجية الكبرى في عهد بوتن ، فمنهم من استند على المدخل الجيوبولتيكي، ومنهم من استخدم المدخل العسكري، ومنهم ارتكز على مدخل الثقافة الاستراتيجية، وهذا ما سنعرض له في السطور التالية:

١-المدخل الجيوبوليتيكي

يرتكز أنصار هذا المدخل على الأبعاد الجيوستراتيجية 'geostrategy' لا سيما مصالح موسكو الجيوستراتيجية ، ومن أكثر مؤيدي هذا المدخل من المفكرين السلاف المفكر Nikolai Danilevsky، وينطلق أنصار هذا المدخل في تفسيرهم للاستراتيجيات الروسية من تصور مفاده: إن الدولة الروسية هي أحد أقاليم قلب الأرض 'heartland state'، لذا فهي تمثل حلقة الوصل بين أكبر الأسواق التجارية البازغة والتي بمقدورها أن تغزو العالم تجارياً، وهذه الخصائص وكذا المتغيرات الدولية في تلك المنطقة قد فرضا على روسيا أنماطاً سياسية خاصة وتغيرات ديموغرافية

متلاحقة ، وتهديدات دائمة؛ الأمر الذي يجعل من القيادة المركزية النمط السياسي الأكثر ملائمة لطبيعتها في الداخل وفي علاقاتها بمحيطها الجغرافي كذلك. كما يعتقد أنصار هذا المدخل بأن منطقة أورآسيا إحدى المراكز الدولية التي سيقام على غرارها نسق دولي متعدد القوى القطبية. (Monaghan, Andrew,2013,p.1223.)، وأن القطب الشمالي هو منطقة الصدام المحتمل والتي من المتوقع أن تقام عليها حروباً للموارد"resource wars" في المستقبل غير المنظور بين القوى الكبرى وتحديداً روسيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية وذلك لما تحويه من موارد اقتصادية حال:الصيد والغاز والبترول(استخراج واحتياطي)، ولما تزخر به من مواد معدنية، ولما تمثله من منطقة استثمارية واعدة (Claes, Dag H. and Moe, Arild,2018,pp.9-26)

يعتقد الجيوبولوتيكيون أن المحرك الرئيس للاستراتيجيات الروسية الكبرى هو الدوافع الجيوبوليتيكية سواء الداخلية وذلك نظراً للموقع الجيوبوليتيكي الذي تتحيزه روسيا والذي جعلها تحوى في جعبتها جذور لقوميات متعددة بهويات مغايرة للهوية الروسية غير متألفة فكرياً intellectually sloppy مع الهوية الروسية الأم، فضلاً عن مساحتها المترامية الأطراف جعلها سلة موارد طبيعية وخزاناً للنفط والغاز الطبيعي . أما من حيث الدوافع الخارجية فإن الطبيعية الجيوبوليتيكية التي تتمتع بها روسيا جعلتها تمثل حلقة الوصل بين أوروبا وآسيا؛ الأمر الذي منحها فرصة التعاون مع الدول الآسوية وتكوين تجمعات سياسية أو اقتصادية وفي صدارتها منظمة شنغاهاي للتعاون هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن الموقع الجيوبوليتيكي الروسي هيأ لروسيا فرصة التعاون أو حتى التكامل على أقصى تقدير مع دول الاتحاد الوروبي. (Berryman,John, 2018,p.67)

إن روسيا عند الجيوبوليتيكين الروس تقع في لب "قلب الأرض الماكيندري"، ومن ثم فإن أية تطورات قد تحدث داخل الأقاليم الروسية من المتوقع أن تجد لها مردودات في بقاع كثيرة على مستوى العالم؛ ومن هنا يظهر الدور الوظيفي الجيوبولتيكي الروسي داخل النطاق الأوروآسيوي، وفي هذا الصدد يشير Bogaturov إلى أن روسيا تلعب دوراً كبيراً في الحفاظ على الاستقرار في منطقة أوروآسيا كما أنها بمقدورها أن تشعل فتيل الصراعات الدولية ليس فقط في تلك المنطقة ولكن في غير منطقة من العالم، ومن ثم يتعين على القيادة الروسية صياغة استراتيجية كبرى تضمن لها الهيمنة ليس فقط في النطق الأوروآسيوية ولكن على المستوى العالمي كذلك. (Berryman, John, 2018,p.68)

٢-المدخل العسكري

يعتقد أنصار هذا الاتجاه أن أنسب المداخل وأقصر الطرق إلى فهم حقيقة استراتيجية بوتن الكبرى هو المدخل العسكري، نظراً لخلفية بوتن الأمنية الاستخباراتية التي تربط في كثير من المواقف بين قدرات روسيا الاقتصادية والدبلوماسية وقدراتها العسكرية، علاوة على ذلك أن أنصار هذا الاتجاه يؤمنون بأن الغاية الكبرى للاستراتيجية الروسية الكبرى هي التوصل إلى صيغة نسق دولي متعدد القوى القطبية تحتل روسيا فيه مكانة أحد أقطابه، وليس بمقدور روسيا بلوغ تلك المكانة إلا بعد امتلاكها من القدرات العسكرية بما يمكنها من مكافئة الأقطاب الأخرى وبما يؤهلها لممارسة أدوار الهيمنة العسكرية عالمياً. ولا يتعين أن يقف الأمر عند ذلك الحد وإنما يتعين أن تتضمن الاستراتيجية الكبرى آليات توضح خطة روسيا للتفوق عسكرياً على غيرها من القوى الدولية ولا تنتظر لإعادة النظر في الخطط العسكرية فقط في حالات الطوارئ (حال الغزو أو أزمة دولية).

كما يؤكد نفر من أنصار هذا الاتجاه أمثال Ostflaten أن كثير من غايات استراتيجية بوتن ما تترجم إلى سلوك عسكري، منها على سبيل المثال حرب الشيشان الثانية والحرب الروسية الجورجية عام ٢٠٠٨ والغزو الروسي لشبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤ ومشاركة روسيا في الحروب الداخلية السورية والليبية واليمنية.(Ostflaten, Amund, 2021,p.124)

ويرى أنصار هذا الاتجاه أن الاستراتيجيات الروسية الكبرى إنما تصك وتصنع لمواجهة تهديدات تواجه الدولة بالفعل أو تحاك لها سواء أكانت من خارج حدودها كالتي تأيها من حلف الناتو أو من الولايات المتحدة الأمريكية أو المعسكرات التابعة لها أم تأتيها من داخل الدولة ممن يطلق عليهم-من أنصار هذا الاتجاه-بالسفسطائيين الذين يمثلون سواعد غربية ومعاول هدم للأمن القومي الروسي نظراً لما يبثونه من قيم دخيلة على المجتمع الروسي وما يقمون به من نشر أجندات لدول كبرى تسعى لتهديد الأمن القومي الروسي وتهدد تماسكه. ويقر بعضهم أن التهديد الآن الذي يواجه الاستراتيجية الروسية لم يعد يقتصر على التهديدات ذات الصبغة العسكرية فحسب وإنما التهديد الذي يقره هؤلاء هو ما يعرف بالتهديد الهجين hybrid threat : الذي يعني أن الأخطار التي تواجه الأمن القومي الروسي والتي تستوجب تدخلاً استراتيجياً باتت متعددة من حيث النوع(حيث أصبح هناك تهديدات عسكرية واقتصادية واجتماعية وسياسية) ومن حيث المصدر(حيث قد يكون مصدرها كيان سياسي رسمي داخل الدولة أو مؤسسة أو جماعة غير رسمية تسعى للعبث بمقدرات وأمن المجتمع الروسي)، ومن حيث الفاعل(من حيث كونه من داخل النظام السياسي أم من خارجه أي من البيئة الدولية) (Gouré, Daniel,2019,pp.67-73)

٣-مدخل الثقافة الاستراتيجية 'strategic culture'

بادئ ذي بدء نشير إلى أن مدخل الثقافة الاستراتيجية جاء لتجنب الأخطاء التي وقع فيها الواقعيون والتي من أبرزها إهمالهم نوايا الدول وخطأ الإدراك وخطأ تقدير قوى الغير، إذ راح أنصار مدخل الثقافة الاستراتيجية –حتى لا يقعون في أخطاء سابقيهم من الواقعيين- يبنون تفسيراتهم للسلوك الخارجي للدول واستراتيجياتها ليس فقط على افتراضات الواقعية في التحليل بل زادوا عليها بعوامل قيمية يتعين إدراجها عند التفسير. (Eitelhuber, Norbert; 2009,p. 3) ، وفي هذا الصدد أكد رائدان من رواد هذا الاتجاه وهما: ألموند وفيربا أن الثقافة السياسية تشتمل على القيم الأخلاقية والأفكار السياسية جنباً إلى جنب استخدام القوة؛ ومن ثم فإن منطلق مدخل الثقافة الاستراتيجية في مجال تحليل السياسة الخارجية هو "تصور لدور الدولة في السياسة الدولية"(Almond,Gabriel and Verba, Sidney,1965,pp.11-14)

وعرف سنايدر في دراسة أجراها عام ١٩٧٧تحمل اسم "The Soviet Strategic Culture: Implications for Nuclear Options" الثقافة الاستراتيجية على أنها مجموعة شبه دائمة من معتقدات الصفوة والاتجاهات والأنماط السلوكية التي تؤثر على متخذي القرار عند صياغتهم للسياسات الأمنية. وعرف الثقافة الاستراتيجية للدولة على أنها عبارة عن الأهداف والمصالح الحيوية للسياسات الخارجية للدول واختياراتها وتنفيذها على الواقع حينما تأتي متأثرة بإدراك الصفوة الحاكمة لطبيعة البيئة الدولية.ولقداستخدم سنايدر هذا المدخل لتفسير الدافع وراء تبنى الاتحاد السوفيتي خيار الصراع النووي مع الولايات المتحدة، حيث تبين له أن هذا الخيار جاء نتيجة الثقافة الاستراتيجية السوفياتية(Eitelhuber, Norbert; 2009,p. 3)

وبعامة يؤمن أنصار هذا الاتجاه بأن ما يشكل الاستراتيجيات الروسية عبر التاريخ هو الأنماط السلوكية والأفكار والمعتقدات السياسية، والخبرات التاريخية والتي تتأثر-كما أكد على ذلك Norbert -بمجموعة من المتغيرات منها: ما يعرف بالإدراك التهديدي"Threat Perception" :والذي تكون بعامل الصراع الدامي بين العرقيات السلافية داخل الإمبراطورية الروسية القيصرية في الداخل والصراع الخارجي بين إمبراطوريات أخرى في الخارج حال الإمبراطورية اليابانية وألمانيا الهتلرية. واستمرارية الحكم الفردي المطلق"Prevailing autocracy": الذي يعيش تحت قبضته الحديدية جماعات كثيرة أغلبها يخشى بطش السلطة. والسعي وراء بلوغ منزلة القوة العظمى" Great power" الذي جعلها دائمة البحث عن سبل تحقيق الأمن لهذه القوة (Eitelhuber, Norbert; 2009,pp. 4-6). وفي سياق متصل يرى أنصار هذا الاتجاه أن الخبرات التاريخية بالمفهوم المتقدم

والأفكار والقيم والمعتقدات المشار إليها أعلاه هي ما تشكل الثقافة السياسية للنخبة الحاكمة المسئولة عن صياغة القرارات الخارجية والخيارات الاستراتيجية للدولة الروسية والتي بدورها تشكل توجهات الدولة وسلوكها وتصورات الغير عنها عبر التاريخ.(Monaghan, Andrew,2013,p.1224.)

ويعد أكثر ما تنتجه الثقافة الاستراتيجية في مجال السياسة والحكم هو التخطيط الاستراتيجي، ويرى كثير من المحللين- وفي مقدمتهم Tolstoyan و Mackintosh و Cooper- أنه باستقراء تطور الاستراتيجيات الروسية منذ ظهور روسيا القيصرية مروراً بالاتحاد السوفياتي السابق وحتي روسيا البوتنية تبين أن كثير من استراتيجياتها قامت على التخطيط الاستراتيجي ومبادئه، على سبيل المثال يرى cooper أن بوتن يعتمد على التخطيط الاستراتيجي في جُل استراتيجياته الكبرى نظراً لتحديده أهداف استراتيجياته ومهمتها، فهو يطوع موارد الدولة الروسية في خدمة مصالحها القومية، كما أنه يجيد فن توظيف الوسائل العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية ويبلورها في بوتقة واحدة متناسقة ومتماسكة لتحقيق أهداف استراتيجيته السياسية أي أنه يقوم بما يمكن أن يطلق عليه فن خلق وابتكار القوة وإجادة فن استعمالها"art of creating power" (Monaghan, Andrew,2013,pp.1226-1227.)

وتجدر الإشارة إلى أن مبدأ ابتكار القوة الروسية الذي ترتكز عليه الاستراتيجية البوتنية- والذي جعل من روسيا ليست مجرد قوة إقليمية ولكن قوة عالمية أيضاً- يأخذ مستويين أحدهما رأسي والآخر أفقي:

ويعني المستوى الرأسي بالتطورات التي أحدثها بوتن في طبيعة المشهد السياسي الداخلي، إذ إنه سعى لدمقرطة المجتمع الروسي وإعطاء ظهره للمبادئ الأيديولوجية التي كانت سائدة في الحقبة السوفياتية، حيث إنه صاغ ديمقراطية إجرائية من صنعه وخلع عليها صبغته وهي تختلف في جوهرها عن الديمقراطية الغربية وإن تشابهت أحياناً في بعض مظاهرها مع مظاهر الديمقراطية الغربية. (Monaghan, Andrew,2013,p.1)، حيث إنه سمح لدميتري لاستخلافه عن طريق تدوال سلمي للسلطة(وهذا يشبه الديمقراطية الغربية في ظاهرها)، غير إنه جاء بظاهرة غريبة لا تشهدها أروقة السلطة كثيراً وهي ظاهرة "التانديمقراسي"tandemocracy أو ما يمكن أن نطلق عليه حاكمان لدولة واحدة أو شخصان يحكمان الدولة أحدهما على العرش والآخر يديرها من خلفه(وهذا ما يجعل ديمقراطيته المزعومة تختلف عن الديمقراطية الغربية في جوهرها)، وعلى الرغم من التوافق والتناغم بين الرجلين بوتن رئيس الوزراء ودميتري الرئيس إلى الحد الذي ارتقت به العلاقة بينهما إلى مستوى تحالف الرفاق'comradely alliance' إلا أن كثيراً من الشركاء ما يطغى بعضهم على

بعض، فلقد تحطم انسجام الإدراة المزدوجة لهذين الرجلين على صخرة الانشقاق والتباين في وجهات النظر في إدارة شئون الدولة والذي لم يكن بمقدورهما كتمانه عن وسائل الإعلام المقربة لديهما آنذاك والتي صورت الأمر بالتصدع بين مراكز السلطة 'a 'vertical split ، وأطلق على هذه الظاهرة بعض المنظرين أمثال Hanson النظرية التصدعية" Schism theory "(Hanson,Philip,2011,p129)، والحق أنه لم تصب الفترة الوجيزة التي دامت أربع سنوات والتي حكم فيها دميتري -وشاركه فيها بوتن والاختلافات في الرؤى بينهما في أخرها -بوتن بالوهن بل زادته إصراراً وعزيمة على المضي قدماً في منهج التخطيط الاستراتيجي (Monaghan, Andrew,2013,p.2).

أما المستوى الأفقي فيعنى بالتطورات التي أحدثها بوتن في البيئة الدولية للوصول بروسيا إلى مصاف الدول العظمى، وكذا وضع خطط استراتيجية من شأنها أن تجعل روسيا دولة رائدة في مجال الاتحاد السوفياتي السابق على أقل تقدير ، فضلاً عن استخدام الموارد النفطية الروسية والاستثمارات المباشرة والقيم والروسية كأدوات لتنفيذ أجندة الاستراتيجيات الروسية(Hanson,Philip,2011,p130).

ويؤمن بعضهم من أنصار هذا المدخل بأن تغير وتحول الاستراتيجات والسياسات الخارجية لبوتن نابع من تقلد روسيا هوية استراتجية جديدة "a new strategic identity "، إذ إن مثل هذه الهوية دفعت بوتن إلى إعادة بناء وهيكلة السياسات الروسية الخارجية في اتجاه التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، وفي هذا الصدد أكد بوتن أن علاقة موسكو مع واشنطن يتعين أن تقوم على مبدأ الصداقة من أجل السلام، فضلاً عن أنه يفضل أن تكون العلاقة مع حلف الناتو وباقِ الدول الأوروبية تكون بعيدة عن المناورات العسكرية والمناوشات المسلحة، ويرحب كذلك بعلاقة أساسها التكامل لا الهيمنة مع اتحاد الدول المستقلة CIS (Rosefielde, Steven , 2005, pp.112-116)

الخـاتـمـة:

يمكن استنتاج مما عرضناه في البحث أنه ثمة ثلاثة اتجاهات في تحديد ماهية الاستراتيجية الروسية: فهناك من يشكك في قدرة بوتن على تبني استراتيجية كبرى على غرار الاستراتيجيات الكبرى التي يتبناها مسئولو دول كبرى حال الولايات المتحدة، بينما راح البعض الآخر يجزم بإن الاستراتيجيات الروسية لا تقل في جوهرها عن منهج استراتيجيات الدول الكبرى نظراً لكون الهوية الروسية تصنف ضمن القوى الكبرى، ولها خصائصها وأنماطها المميزة عن باق القوى العالمية الأخرى، غير إنها لاتبادر بأفعالها الدولية وإنما تأتي استجابة لمؤثرات خارجية أو استغلال وتحين فرص. في حين يذهب فريق ثالث –وهذا ما يميل إليه الباحث وخلصت إليه الدراسة-إلى أن روسيا تقع في مصاف الدول الكبرى التي تمتلك استراتيجيات كبرى متماسكة مبادئها وواضحة أجندة أهدافها.

وخلصت الدراسة كذلك إلى أن الاستراتيجية البوتنية الكبرى تتميز عن غيرها من الاستراتيجيات الكبرى للدول الأخرى نظراً لتميزها في مجموعة من الخصائص لعل من أبرزها: أن بوتن يسعى سعياً دؤوباً على الحفاظ على الأمن القومي الروسي وأمن نظامه السياسي، وكذا سعت الاستراتيجية الروسية إلى الهيمنة على دول الجوار القريب، فضلاً عن تأكيدها قطبية روسيا، علاوة على ذلك إصرارها على المشاركة مبدأ الشراكة العالمية في إدارة المشكلات السياسية والاقتصادية في كثير من مناطق الاهتمام العالمي.

وأخيراً وليس أخراً، تعددت المداخل المعنية بدراسة الاستراتيجية الروسية: فمنها المدخل الجيوبوليتيكي والذي ينطلق أنصاره من منطلقات جيوبوليتيكية في تحليل السياسة الخارجية الروسية. وهناك من يركن إلى المدخل العسكري في تحليل الاستراتيجية الروسية في عهد بوتن نظراً لاعتقاده بأن عدداً لا يستهان به من المواقف الروسية الحرجة يحسمها بوتن عسكرياً، وثمة بعض الباحثين ممن يرتكزون على مدخل الثقافة الاستراتيجية عند تحليل الاستراتيجيات الروسية الكبرى لاسيما في عهد بوتن لإيمانهم بأن أنسب طريقة لفهم الاستراتيجيات الروسية الكبرى بعامة والاستراتيجية الروسية البوتنية على وجه الخصوص هي تلك الاستراتيجية ترتكز على مقومات مادية ومعنوية في تفسير السلوك الخارجي الروسي.

المراجع:

I-Books:

-Almond,Gabriel and Verba, Sidney; **The Civic Culture: Political Attitude And Democracy in Five Nations**(Boston:Little Brown,1965).

-Berryman,John; **Geopolitics and Russian Foreign Policy**, Tsygankov, Andrei P.; Routledge Handbook of Russian Foriegn Policy(London: Routledge, 2018)

- Berryman, J. ; Russia, **NATO enlargement and the new lands in between.** In: R. E. Kanet (ed.) A Resurgent Russia and the West: The European Union, NATO and Beyond. Dordrecht(The Netherlands: Republic of Letters Publishing,2009).

- Berryman, J. ; Russia, **NATO enlargement, and 'regions of privileged interests'**. In: R. E. Kanet (ed.) Russian Foreign Policy in the 21st Century. (Basingstoke, UK: Palgrave Macmillan,2011).

- Black, Cyril C., **'The Pattern of Russian Objectives', in Russian Foreign Policy.** Essays in Historical Perspective, Ivo Lederer (ed.) (New Haven: Yale University Press, 1962).

- Claes, Dag H. and Moe, Arild, **"Arctic Offshore Petroleum: Resources and Political Fundamentals,"** in Arctic Governance: Energy, Living Marine Resources and Shipping, Svein Vigeland Rottem and Others(eds.) (London: I. B. Tauris, 2018)

Hanson ,Philip, **'Networks, cronies and business plans: business–state relations in Russia'**, in Vadim Kononenko and Arkady Moshes, eds, Russia as a network state: what works in Russia when state institutions do not? (Basingstoke: Palgrave Macmillan, 2011)

- Hollis, M and Smith, S 1990, **Explaining and understanding international relations**(1st edition, Clarendon Press, Oxford, UK.,1990)

- Ivanov, Igor; **The New Russian Diplomacy** (Washington, DC: Bookings Institution Press,2000).

-Gouré, Daniel, **Cutting the Putian Knot: Developing a strategy for Dealing with an Authoritarian,Unstable, and Armed Russian Regime**, in: Blank, Stephen J.(ed.) ,The

Russian Military in Contemporary Perspective(Strategic Studies Institute, the U.S. Army War College Press, 2019).

-Kolstø, P., '**The ethnification of Russian nationalism. Imperialism, ethnicity and authoritarianism 2000–2015'**, in P. Kolstø and H. Blakkisrud (eds), The new Russian nationalism, (Edinburgh University Press, Edinburgh, UK,2016).

- Kropatcheva, Elena; **Power and national security**,in: Tsygankov, Andrei P.; Routledge Handbook of Russian Foriegn Policy(London: Routledge, 2018.)

- Petro, Nicolai and Rubinstein, Alvin; **Russian Foreign Policy: From Empire to Nation State** (New York, NY: Longman, 1997).

- Radin, Andrew and Reach, Clint; **Russian Views of the International Order(** RAND Corporation, Santa Monica,: Calif, 2017)

- Rosefielde, Steven: **"The Miasma of Global Engagement", in Russia in the 21 st Century**:**The Prodigal Superpower**(Cambridge: Cambridge University Press, 2005)

- Stepanova, Ekaterina, **Russian Foreign and Security Policy in the Middle East: Entering the 2020S**. in: Colombo, Silvia and Dessi Anderea(editors)Fostering a New Security Architecture in The Middle East (Foundation for European Progressive Studies, 2020).

- Suny, Ronald ;**The Empire Strikes Out: Imperial Russia, "National" Identity, and Theories of Empire**(Chicago: University of Chicago Press, 1997)

- Tkachenko, Stanislav; **"The Coercive Diplomacy of Vladimir Putin (2014–2016),"** in The Russian Challenge to the European Security Environment, Roger E. Kanet, ed. (London: Palgrave Macmillan,2017).

- Trenin, Dmitri: **"The Russian Angle"**, in Goodby, James; Buwalda, Petrus and Trenin, Dmitri (eds.): A Strategy for Stable Peace: Toward a Euroatlantic Security Community(Washington, D.C.: United States Institute for Peace, 2002)

-Tsygankov, A. P.; **Russia's Foreign Policy** (4th Edition. Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2016)

- Ziegler,Charles E**.; Diplomacy** in: Tsygankov, Andrei P.; Routledge Handbook of Russian Foriegn Policy(London: Routledge, 2018.)

II- Periodicals:

- Blidaru, Sebastian; The Concept of Grand Strategy and the Specific case of the Russian State, *AUDRI*, Vol. 13, no 1, 2020, pp. 47-58

-Clark, Joseph Roger; Russia's Indirect Grand Strategy, *Orbis* , February 2019.

- Dick, Charles: The Military Doctrine of the Russian Federation", Jane's *Intelligence Review*, vol.6 ,Special report no. 1,1994.

- Eitelhuber, Norbert; The Russian Strategic Culture and what it Implies for West, *The Quarterly Journal,* Winter 2009.

-Franco, Marc; Russian Grand Strategy and how to handle it, *Security Policy Brief*, no.133, January 2021.

- Mearsheimer, JJ 2014, 'Why the Ukraine crisis is the West's fault. The liberal delusions that provoked Putin', *Foreign Affairs,* September/October.

- Monaghan, Andrew; Putin's Russia: shaping a 'grand strategy'?, International Affairs vol.89, no. 5 ,2013, 1221–1236.

- Monaghan, Andrew; 'The Vertikal: power and authority in Russia', *International Affairs,* vol. 88: no.1, Jan. 2012, pp. 1–16.

- Nygren, B 2012, 'Using the neo-classical realism paradigm to predict Russian foreign policy behavior as a complement to using resources', *International Politics,* vol. 49, no. 4, pp. 517–529.

- Ostflaten, Amund; Russian Strategic Culture after the Cold War The Primacy of Conventional Force, *Journal of Military and Strategic Studies*,Vol.20.Issue 2,2021

-Renz, Bettina; 'Why Russia is Reviving Its Conventional Military Power', *Parameters*, vol. 46, no. 2, Summer 2016.

-Rose, G .1998, 'Neoclassical realism and theories of foreign policy', *World Politics*, vol. 51, no. 1, pp. 144–172.

-.Splidsboel-Hansen, Flemming: "Past and Future Meet: Aleksandr Gorchakov and Russian Foreign Policy", *Europe-Asia Studies*, Vol. 54, No. 3 ,May 2002, pp. 389-390.

-Stepanova, Ekaterina; Russia in the Middle East: Back to a "Grand Strategy" – or Enforcing Multilateralism?, *Politique Étrangère*, Vol.81, ,no.2,January 2016.

- Zevelev, Igor: "Russian and American National Identity, Foreign Policy, and Bilateral Relations", *International Politics*, Vol. 39, No. 4 ,December 2002, pp. 447-465.

III-Documents and Reports:

- Baev, Pavel: **"Russia's Policies in the North and South Caucasus"** in Lynch, Dov (ed.) (2003): The South Caucasus: A Challenge for the EU, Chaillot Papers, No. 65 Paris, EU Institute for Security Studies, pp. 41-51

-Lamoreaux, Jeremy W., **The Three Motivations for an Assertive Russian Grand Strategy**, in: Peterson, Nicole , Russian Strategic Intentions , A Strategic Multilayer Assessment (SMA) White Paper ,May2019http://nsiteam.com/sma-publications/

-Lo.Bobo; **Going legit? The foreign policy of Vladimir Putin**, Analysis, The Lowy Institute, 2018.

- Majumdar, David**;"Stumbling into a War with Russia",** The National Interest, 26 March 2018

In:https://nationalinterest.org/feature/stumbling-war-russia-25089

- Mcclintock ,Bruce and Others, **Russia's Global Interests and Actions: Growing Reach to Match Rejuvenated Capabilities**, Perspective ,Rand Army Research Division,June 2021.

- Person, Robert, **Russian Grand Strategy in the 21st Century ,** in: Peterson, Nicole , Russian Strategic Intentions , A Strategic Multilayer Assessment (SMA) White Paper ,May2019http://nsiteam.com/sma-publications.

- Starr.S.Frederrick and Cornell , Svante E.; **Tactics and Instruments in Putin's Grand Strategy,** in: Starr.S.Frederrick and Cornell , Svante E, Putin's Grand Strategy: The Eurasian Union and Its Discontents, Central Asia-Caucasus Institute & Silk Road Studies Program – A Joint Transatlantic Research and Policy Center. Washington, D.C, 2014.

-Shevtsova, Lilia (2005): **"From Oligarchic Authoritarianism to Bureaucratic Authoritarianism"** , in Putin's Russia, Washington, D.C., Carnegie Endowment for International Peace, pp. 335-336.

-Vladimir Putin's speech at the Federal Assembly, May 10, 2006, in: http://www.kremlin.ru/appears/2006/05/10/1357_type63372type63374type82634_105546.shtm